حلم التنين الصيني

كلنا يعلم ان أمريكا هي المتحكم الرئيسي عالميا بالأنترنت وتطوره خلال الخمسين سنة الماضية منذ ان بدأ كبرنامج صغير في مبنى مشهور ذي خمسة اضلاع الى أصبح منصة عالمية تجمع اركان الأرض ولكن هل هذه الهيمنة على وشك الانتهاء؟ هل بدأت علامات ظهور قوة جديدة تتحكم بالفضاء السبراني في المستقبل القريب؟

يبدو ان الامر سائر الى هكذا استنتاج والمرشح هو الصين ولاتخفي الصين ذلك بل نشرت طموحها وخططها لتنفيذ هذا الامر فالرئيس الصيني وضع جل اهتمامه وامكانيات الدولة لرسم مستقبل الانترنت عالميا وليس محليا فقط من خلال قوانين محلية صارمة بداية ومن ثم تشجيع القطاع العام والخاص على البحث والتطوير ومن خلال استعمال العلاقات الدولية والتأثير الذي تتمتع به الصين ومن خلال بناء دفاع سبراني لا يمكن اختراقه (سنتحدث بالتفصيل لاحقا عن كل ما تقدم لاحقا). كل هذا سيجعل للصين صوتاً مؤثراً وقوياً في وضع قوانين جديدة لحوكمة الانترنت.

ان كل الاعمال التي تقوم بها الصين من تطوير واستثمار في مجالات الذكاء الاصطناعي Artificial intelligence و الإحصاء الكمي Quantum Computing و الروبوتية. Robotics ومجالات التكنولوجيا الأخرى قد تنجح وقد تفشل والسبب قد يكون هو اعتماد الحكومة الصينية على الشركات الصينية العامة والخاصة في هذا المجال وهذه الشركات تحت ضغط دائم اقتصادي وسياسي من قبل الحكومة عكس الشركات في أمريكا التي تتمتع بحرية واسعة وشبه مطلقة اضف الى ذلك عوامل أخرى ثانوية منها اللغة وإمكانية الخروج خارج الحدود لشراء العقول او التكنولوجيا بدون أية ضغوط

سياسية بل على العكس هنالك دعم كامل ولكن لنفرض ان الصين نجحت (هنالك مؤشرات كثيرة ان هذا ممكن جدا) بما لديها من إمكانيات بشرية ومادية هائلة اضف الى ذلك إصرار غير مسبوق للنجاح فسيعني هيمنة الصين على الفضاء السبراني وبالضرورة ستجعل العالم نسخة عن الصين من رقابة شديدة واستعمال اقل وتأثير على الراي العام وتحريك الشعوب لأهداف خاصة بالصين وهيمنة تكنولوجية اذ سيكون علينا استعمال تكنولوجيا صينية ببرامج صينية وعندها ستكون الفوائد مادية وسياسية وامنية وتجسسيه في ان واحد وستتراجع أمريكا وعظمتها الى الصفوف الثانوية.

ما هو هدف الصين من هذا السباق المحموم وحسب رايي المتواضع هو ان الصين اخذت عبرة من كيفية سقوط الاتحاد السوفييتي وكيف ان أمريكا اختارت وقت المعركة وسرعتها لاستنزافه حتى السقوط لذلك بادرت الصين لبدء المعركة حسب جداولها الزمنية وتوقيتاتها ومن الأسباب الأخرى التي يراها المختصون هو نجاح الصين في السيطرة على الانترنت سيؤدي الى السيطرة على العقل الجمعي للمجتمع لما يخدم سياسة الدولة والسيطرة على المعلومات الداخلة او الخارجة وإمكانية تحريك الشارع لصالح النظام اضف الى ذلك الأرباح الاقتصادية هذا فيما يخص الصين اما خارج الحدود فستعمل الصين نفس الموديل مع الدول البوليسية التي ترغب بهكذا نوع من السيطرة وعندها سيكون للصين راي وصوت عالمي في الحوكمة الالكترونية.

كيف ستنجح الصين في طموحها الذي يبدو خياليا لأول وهلة لغير المتابع . الصين لديها رؤية وإصرار وامكانيات مادية وبشرية وستعمل على مايلي.

أولا بدأت الصين وبجد في العمل على تقليل اعتمادها على التكنولوجيا الغربية وتعمل على جميع الاصعدة للبحث والاستثمار للاكتفاء الذاتي .

ثانيا ان الصداع الذي يعاني منه المشرعون في معظم دول العالم فيما يخص الهجمات الالكترونية على القطاعين الحكومي والخاص وما تسببه هذه الهجمات من خسائر مادية واقتصادية وحتى معلوماتية دفع الحكومة في الصين الى الاستعجال في بناء منظومة حماية خاصة بهم وهذا الامر يتقاطع إيجابيا مع عملهم لتطوير صناعتهم والتقليل من الاعتماد على الغرب لتقوية دفاعاتهم السبرانية خاصة ان الغرب اعترف عن اختراق مواقع في الصين وسرقة معلومات خاصة وكذلك اعتراف أجهزة مخابرات أمريكية بانها ولجت الى حسابات اشخاص وشركات صينية تستعمل أجهزة وبرامج أمريكية الصنع.

أن الصين في تصادم مباشر مع الولايات المتحدة الامريكية فيما يخص عولمة الانترنت فبينما الصين
تعمل على الاستراتيجية التي مفادها ان لكل دولة الحق في اختيار طريقة التعامل مع الانترنت ضمن حدودها وسيادتها من تكنولوجيا الى التصفح الى الحجب الى البحث والتطوير وغيره ترى الولايات المتحدة ان الامر يجب ان يكون بحرية تامة للأفراد والشركات بدون أي تدخل حكومي أي ان يكون الانترنت عالميا عابرا للحدود بدون أي قيد وفعليا بدأت الصين بالدفع بهذا الاتجاه بشراسة طلبت من الأمم المتحدة العمل على وضع سياسة حوكمة عالمية لسحب البساط من تحت أمريكا. . ان الصين تعمل بنفس الوقت على قلب هرم العلاقة بين الدولة والمنتج والمبدع والزبون فبدل ان يكون البحث والتطوير ومن ثم الإنتاج بمبادرة من القطاع الخاص الذي يسوق للحكومة وللأفراد ترى الصين ان تكون الدولة هي من يقرر باي أتجاه يتم

البحث والتطوير وهي صاحبة الكلمة في الإنتاج ومن يقوم بالتصنيع وهي من تقرر لمن يتم تسويق هذا المنتج أي سيطرة الدولة بالكامل.

عصر الصين الذهبي بدا يسطع وسيتذكر التاريخ ان هذه السنين هي نهاية سذاجة الغرب في تفكيرهم انهم يستطيعون ان يحرروا الانترنت 100%. فالصين لها راي مختلف لذلك بدأت منذ سنين وضع رقابة شديدة على المواضيع التي على مواقع التواصل الاجتماعي داخل البلاد وامثلة على ذلك في سنة 2017 امرت الحكومة ثاني اكبر شركة استضافة مواقع TENCENT بغلق مواقع تستضيفها تتعلق بمواضيع سياسية وتاريخية ومواقع تتعلق بالجيش وبعد اشهر قليلة تم تغريم كبرى الشركات مثل Weibo, Baidu and Tencent لاستضافتهم مواقع ممنوعة حتى وصل الامر بالطلب من الشركات بحجب خدمة VPN وحينها استجابت كل الشركات والغريب ان حتى شركة Apple رفعت خدمة ال VPN من النسخة الصينية من APP Storeوبدات وتيرة التضييق تزداد من حينها.

تعتبر الصين من الدول الرائدة حاليا في مجال الحماية والمراقبة والتتبع بالإضافة الى ذلك تعتبر الصين من الدول التي تقدمت تقدما هائلا في مجال ال Face Recognition وهذا بحد ذاته يعتبر تطورا هائلا وهذا كله لخدمة النظام, فالصين بدأت بنظام مراقبة متطور جدا يعتمد على الكاميرات والمجسات المتقدمة تكنولوجيا الموزعة في أماكن معينة واختيارها بذكاء يعينهم في ذلك برامج متطورة لال Face & Voice Recognitionوقد بدأت الدولة اول ما بدأت باختباره في المقطعات ذات الأغلبية المسلمة والحكومة الصينية مصممة على تعميمه لكل انحاء الصين.

ماعدا ما تقدم من نظام مراقبة متقدم زاوجت الصين ذلك بقوانين وأنظمة صارمة لحماية المعلومات اتي بحوزة الدولة والقطاع الخاص المخزنة الكترونيا وللسيطرة عليها واهم هذه القوانين عي المتعلقة بان تقوم جميع الشركات الخاصة والعامة مجبرة بخزن جميع المعلومات المتعلقة بأعمالهم او ملفات العملاء داخل حدود الدولة ولأتسمح لاي شركة بخزن أي ملف خارج الصين والهدف هو تمكين النظام اما من الولوج لأخذ المعلومات التي يحتاجها او لاستعمال المعلومات لتحريك الشارع أي باختصار استعمالها لأهداف النظام حصرا وهنالك أيضا قوانين وأنظمة صارمة فيما يخص حماية المعلومات وطرق محاربة الاختراقات الإلكترونية وكيفية التعامل معها.

عودة على ما تقدم من ان الصين بدأت العمل بشراسة لإنتاج التكنولوجيا والتقليل من الاعتماد على الغرب وهذا واضح من الخطة التي أعلنت عنها سنة 2016 والخطط اتي سبقتها وللتأكيد على جدية الصين فيما ترمي اليه فان معدل الاستثمار تصاعد بنحو 20% سنويا منذ العام 1999 وتجاوزت قيمته 233$ بليون دولار امريكي وهو رقم مهول يبين جدية الدولة فيما ترمو اليه وهذا الرقم يعادل 20% من الاستثمار العالمي في مجال البحث والتطوير R & D. الصين الان الأولى في عدد خريجي الجامعات التكنولوجية نسبة الى عدد السكان ولأول مرة تجاوزت الصين أمريكا بعدد المجلات والمنشورات الدورية المختصة بالتكنلوجيا وبدا اهتمام المختصين الامريكان بالدراسات الصينية بعد اهمال لسنين والصين سائرة بالطريق الذي رسمته لنفسها.

أهم ثلاث أمور ستهتم بها الصين لتحقيق احلامها هي شرائح الكمبيوتر (Semiconductors) او ما يسمى (Microchips) , الإحصاء الكمي (Quantum Computing) والذكاء الاصطناعي

(Artificial Intelligence) أن احدى الأمور التي مازالت تؤرق الصين منذ سنين هي شرائح الكمبيوتر فالصين تعتمد اعتماد شبه كلي على أمريكا في استيراد هذا المكون الحساس في صناعة اكثر الأجهزة الالكترونية الحديثة وتقدر استيرادات الصين السنوية من هذا المكن بأكثر من 225$ بليون دولار سنويا أي اكثر بقليل من استيراداتها النفطية ويمكن ان يقال انها تعيد تصدير المنتوجات التي تستعمل هذه الشرائح المستوردة بأرباح ولكن هذا ليس ما يؤرق الدولة بل اعتمادهم على الغرب هي المشكلة واكبر مثال على ذلك قضية مقاطعة شركة ZTE من قبل الإدارة الامريكية الحالية وتعتبر هذه الشركة رابع اوخامس شركة في العالم من حيث انتاج أجهزة الاتصالات في العالم فتخيل حجم الكارثة التي كانت ستحل بهذه الشركة لو استمرت المقاطعة ولكن الإدارة الامريكية تراجعت عن قرارها بنفس السنة.

وضعت الصين هدفا وبدات العمل عليه منذ سنين قليلة وبموجبه يتعين على الشركات الصينية انتاج مالا يقل عن 70%من حاجة الصين من الشرائح الالكترونية بحلول العام 2025 وخصصت مبلغ 150$ بليون دولار امريكي للعشر سنين القادمة للبحث والتطوير لإنتاج كمبيوترات ذكية تواكب التقدم والطموحات بالإضافة الى ذلك حاولت الصين شراء شركات أمريكية وغربية متخصصة بإنتاج الشرائح الالكترونية ولكن واجهتهم مشاكل وعراقيل من قبل المشرع الأمريكي الذي يحاول بشتى الطرق قطع الطريق على الصين للوصول الى هدفها وهنالك تقديرات من قبل متابعين ان محاولات شراء شركات متخصصة وصل الى اكثر من 35$ بليون دولار .

أما عن الإحصاء الكمي فلأتوجد ارقام موثقة لحجم الاستثمار ولكنها بالتأكيد كبيرة جدا وقد نجحت الصين في تطوير واستعمال الإحصاء الكمي فالمعلوم ان الإحصاء الكمي يستعمل بروتوكول مختلف

ومتطور للقيام بالعمليات الحسابية ولديه الامكانية لحل اكثر من مسألة معقدة في أن واحد كذلك يمكنه حل مسائل لا يمكن للكمبيوتر العادي حلها بسهولة بالإضافة الى إمكانية التشفير العالية وحل الشفرات العادية وفوائد أخرى اقتصادية وتقنية وتجسسيه فالصين استعملته في التراسل بين الأقمار الصناعية ومحطاتها الأرضية كذلك بنت الصين كابل ارضي بين مدينتين رئيستين باستعمال الإحصاء الكمي للتجربة .

فاق استثمار الصين في مجال البحث والتطوير في الذكاء الصناعي جميع المجالات الأخرى وكذلك فاق دول متقدمة مثل أمريكا وهذا باعتراف الخبراء الغربيين انفسهم والمتوقع انه بحلول سنة 2025 ستكون الصين الدولة الأولى في مجال الذكاء الصناعي واستعماله بشتى المجالات وستسيطر على الأسواق العالمية بحلول 2040 واهم استعمالاته ستكون في المجال العسكري والطبي والتكنولوجي إضافة الى تطويرها برامج تستعمل الذكاء الصناعي للدفاع عن نفسها ضد الهجمات الالكترونية وهنالك مجالات أخرى مثل الاتصالات والاقتصاد...ألخ.

لا نغفل مجالات أخرى بدأت الصين تحاول ان تضع بصماتها عليه مثل الجيل الخامس من النقال والمعلوم ان الصين كانت غائبة كليا عند وضع المعايير الدولية للجيل الثالث وبعده الرابع الا انها دخلت بقوة لوضع رؤيتها في وضع معايير الجيل الخامس وهذا كان جليا في مؤتمر فيينا لوضع المعايير الدولية للجيل الخامس حيث ان وفد شركة هواوي الصينية كان اكثر وفد عددا وتأثيرا.

السؤال الذي سننتظر الإجابة عنه هل ستستطيع الصين تنفيذ طموحها؟ ام ان أمريكا والغرب سيتحدون وينهضون للتغلب على الصين في الريادة؟ ام هل سيعمل الغرب وحلفاؤه في الضغط على الصين للتفاهم

لوضع رؤية ومعايير موحدة؟ ما هو موقف دول العالم الغير معنية بإنتاج المعرفة الالكترونية و ما هو دور الأمم المتحدة ؟ .

مصعب الشيخ علي